

التوسع العسكري الصيني في إفريقيا: الواقع والتحديات

Chinese military expansion in Africa: Reality and Challenges

الصادق جارية

Sadok Djaraya

مخبر السياسات العامة وتحسين الخدمة العمومية بالجزائر

Laboratory of Public Policy and Public Service

Improvement in Algeria

جامعة الوادي - الجزائر

University of Eloued- Algeria

ssasadok83@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/10/01

خالد بالطيب*

Bettayeb Khaled

مخبر السياسات العامة وتحسين الخدمة العمومية بالجزائر

Laboratory of Public Policy and Public Service

Improvement in Algeria

جامعة الوادي - الجزائر

University of Eloued- Algeria

bettayeb-khaled@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/04

تاريخ القبول للنشر: 2022/01/18

ملخص:

تمتلك الصين مكانة دولية محترمة، تجعلها دولة محورية في العلاقات الدولية، وهي تراهن على الانتقال من التواجد الاقتصادي ونجاح الاستثمار، إلى الانتشار العسكري والقوة، غير أنه ليس من السهل عليها دخول الأسواق الإفريقية، في ظل المنافسة الدولية الشديدة، مما يقتضي دورا صينيا أكثر فعالية لمواجهة هذه المنافسة والتهديدات المحتملة لها. تحاول هذه الدراسة البحث حول استراتيجية الصين في إفريقيا في ضوء استمرار الهيمنة الأمريكية على الصعيد العالمي، وكيف تقدم بيجين نموذجها للعلاقات الدولية التعاونية مع الدول الإفريقية، والسعي للانتشار وامتلاك القوة في الجهة المقابلة.

الكلمات المفتاحية: الصين، إفريقيا، الصراع، الهيمنة، المنافسة، التوسع العسكري، القوة.

Abstract:

China has a respected international position, which makes it a pivotal country in international relations and it is betting on the transition from economic presence and investment success, to military deployment and strength, but it is not easy for it to enter African markets, in light of intense international competition, which requires a more effective Chinese role. To counter this competition and potential threats to it.

This study attempts to research China's strategy in Africa in light of the continued American hegemony at the global level, and how Beijing presents its model of cooperative international relations with African countries, and seeks to spread and acquire power on the opposite side.

Key words: China, Africa, Conflict, domination, competition, military expansion, power.

* المؤلف المراسل

مقدمة:

تعتبر الصين قوة إقليمية دولية، بوصفها صاحبة أكبر قوة بشرية بعدد سكان يتجاوز (مليار و 300 مليون نسمة)، وهي أكبر دولة لامتلاكها أكبر جيش بتعداد 1.6 مليون جندي، كما تمتلك بيجين حق النقض الـ "فيتو/Veto" في مجلس الأمن بهيئة الأمم المتحدة بوصفها عضوا دائما بالمجلس، وهي ثاني قوة اقتصادية عالمية بأعلى معدل نمو في العالم (11 بالمائة)، وثالث دولة في العالم تتمكن من اختراق الفضاء بعد توصلها إلى التكنولوجيا الفضائية.

تتميز السياسات الصينية بالسلاسة، والدليل أن بيجين استأنفت علاقاتها مع تايوان التي تمارس معها تبادلا تجاريا، يدل على تغليب صوت الحكمة والمصلحة على الخلاف والصراع، كما استأنفت بيجين وطوكيو علاقاتها بعد قبولها اعتذارا يابانيا عن الحروب التي وقعت بينهما، وتقوم بيجين بوساطة تاريخية بين كوريا الشمالية والغرب، لمنع قيام حرب إقليمية بين الكوريتين، كما تمارس دورا مؤثرا لأن لها وزنا إقليميا مؤثرا يحمل الفرقاء على تغيير مواقفهم الدولية، ناهيك عن وزنها الاقتصادي المتنامي الآخذ في التطور، ليرتفعها لاحتلال مرتبة اقتصادية ريادية على الصعيد العالمي.

تدرك بيجين الكلفة التي تتحملها واشنطن جراء مساعي فرض استمرارية السيطرة الأمريكية العالمية، غير أن بيجين تسعى للانتشار على الصعيد العالمي كبقية القوى الدولية الكبرى، وهي تراهن بشكل مستمر على التواجد في مختلف مناطق النفوذ الأمريكي ومنها القارة الأفريقية، التي تعد بموارد طبيعية ومواقع إستراتيجية هامة للتواجد والانتشار العسكري الصيني عبر العالم.

لا يعتبر التواجد الصيني قديما في القارة الإفريقية - كما هو التواجد الغربي عبر قوى الاستعمار القديم مثلا-، فقد دعمت بيجين حق الشعوب والدول الإفريقية خاصة الاشتراكية منها، لنيل الاستقلال وتقرير المصير، وكانت مقاربتها لدول "الجنوب-جنوب" بوابة لمعاملة الدول الإفريقية بنديّة دون ماض استعماري أو تاريخ جدي من الخلاف أو الأزمات السياسية، غير أن بيجين خسرت الكثير من استثماراتها وتضررت مصالحها الاقتصادية في بعض الدول الإفريقية نتيجة تسبّب التدخلات الغربية في إسقاط الأنظمة السياسية الحليفة لها، ولا أدل على ذلك ما حدث في تقسيم السودان، إذ وجدت بيجين أنها في مواجهة هيمنة عالمية، واضطرت إلى الاصطدام بالإدارة الأمريكية وبالدول الأوروبية أيضا، وأجبرت على الدفاع عن

مصالحتها بمشروعها الخاص و المتمثل في الانتشار العسكري الجديد في القارة، وذلك بالسعي إلى إقامة قواعد عسكرية ببعض الدول الإفريقية.

وبناء على ما تقدّم يمكن طرح الإشكالية التالية للاقترب من تحليل الظاهرة المدروسة على النحو التالي:

إلى أي مدى تراهن الصين على الانتشار العسكري في دول القارة الإفريقية لتعزيز مكانتها العالمية؟

يعتمد المقال المنظور الواقعي في العلاقات الدولية لتفكيك العلاقات الصينية مع الدول الإفريقية من خلال الخطابات السياسية والاتفاقيات الموقعة بين الصين وزعماء الدول الإفريقية. **الفرضية الرئيسية:**

كما رغبت الصين في إمتلاك الهيمنة العالمية الدولية راهنت على التوسع العسكري في القارة الأفريقية.

الفرضيات الفرعية:

- 1 - كلما رغبت بيجين في دعم مشروعها للهيمنة العالمية عبر التواجد في دول القارة الإفريقية، تحركت واشنطن في نفس الاتجاه لمقاومة هذا التحرك.
 - 2 - كلما فشلت الصين في فرض نجاحها الاقتصادي واختبار نفوذها في دول القارة الإفريقية، عذلت عن الانتشار العسكري لحماية مصالحها الاقتصادية.
- تهدف هذه الدراسة إلى:

1. بحث ملامح الخطة الصينية للهيمنة الإقليمية عبر الانتشار السياسي والعسكري والاقتصادي، من خلال دراسة الاستمرار والتغيير في السياسة الخارجية الصينية تجاه إفريقيا.
2. دراسة أسباب إصرار بيجين على التواجد السياسي والعسكري والاقتصادي وحتى الثقافي في إفريقيا رغم إدراكها حجم التواجد الغربي عموماً والأمريكي خاصة في إفريقيا، وهل هي محاولة مسبقة من بيجين لمواجهة الغرب؟
3. دراسة إلى التعرف على مستويات التعاون بين بيجين والدول الإفريقية، وهل هي مبنية على أساس الندية، أم أنّها محاولة للهيمنة الإقليمية الصينية على إفريقيا التي تعرف عدّة مشروعات للهيمنة الدولية.

المبحث الأول:

السياسة الخارجية الصينية تجاه أفريقيا

تنطلق السياسة الخارجية لبيجين من "المبادئ الخمسة للتعايش السلمي" التي تقوم على (الاحترام المتبادل لسيادة الدول ووحدة الأراضي الصينية، عدم الاعتداء المتبادل، عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، المساواة والمنفعة المتبادلة، التعايش السلمي بين الدول والشعوب). وتعتبر هذه الثوابت دلالة على النهج السلمي لسياسة بيجين ودورها الدولي المستقر والمؤثر في آن واحد⁽¹⁾.

واعتبارا من هذه المبادئ سوف نتناول في هذا المبحث السياسة الخارجية الصينية تجاه أفريقيا و الفرص العسكرية لها بالقارة.

المطلب الأول: السياسة الخارجية الصينية تجاه مناطق ECUAS وEGAD وCOMES وMENA

تقول الدراسات الصينية المتخصصة في السياسة الخارجية الصينية أنّ بيجين سعت جاهدة لإقناع الأفارقة أنّها شريك اشتراكي حقيقي لا يسعى لفرض الهيمنة كما يفعل الاتحاد السوفيتي السابق، لكنه يسعى ليكون نموذجا قابلا للتنميط والنمذجة بدول القارة الإفريقية⁽²⁾، وسعت بيجين إلى تحييد العديد من الدول الإفريقية حول قضية تايوان، إذ انخفض عدد الدول التي تعترف بتايوان من 22 عام 1970 إلى 04 عام 2009، وهو نصر دبلوماسي صينيّ بنظر بيجين، التي راهنت على دفع الأفارقة للاعتراف بـ "صين واحدة".

الفرع الأول: السياسة الخارجية الصينية تجاه منطقة MENA

تعتبر الصين المستورد الأول عالميا للموارد الأولية، مما يعني أنّها تدفع أموالا ضخمة للدول الإفريقية المصدرة، إلا أن بيجين خسرت استثمارات كبيرة في مناطق النزاع المختلفة في أفريقيا مما دفعها إلى انخراطها في التحولات الأمنية والدفاعية في إفريقيا وأبرزها المشاركة في فرض الأمن ضمن قوات الأمم المتحدة بليبيا، كما أرسلت في أبريل 2003 قوة لحفظ السلام في الكونغو⁽³⁾ والعديد من مناطق النزاع الدولي الأخرى.

تعطي هذه الملامح الجديدة للاستراتيجية الصينية تغييرا واضحا في الدور الصيني وانخراطه في تحولات الدفاع والأمن لمراقبة الموارد الإفريقية على نفس نمط الدول العظمى دون مواجهة الأخيرة⁽⁴⁾.

تنقسم إفريقيا إلى مناطق إقليمية هامة، فمنطقة شمال إفريقيا مصنفة جيوسياسيا واقتصاديا ضمن فضاء MENA لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ونظرا للتناقضات

والصراعات والأزمات السياسية التي تعرفها هذه المنطقة لأكثر من قرن من المواجهات، خاصة الصراع العربي الإسرائيلي، فإنّ الصين تعتبر أنّها قادرة على استقطاب بعض دول المنطقة ضمن استراتيجيتها لاختراق سياسات المنطقة.

الفرع الثاني: السياسة الخارجية الصينية تجاه منطقة COMESA

منطقة كوميسا هي فضاء تجاريّ مفضّل بالنسبة للصين التي ترغب في تأمين مواردها الطبيعية في دول القارة الإفريقية، وإن تطلّب الأمر عبر الانتشار العسكريّ، وقد تأسست الكوميسا عام 1994 عوضاً عن منطقة التجارة التفضيلية الموجودة منذ 1981 وتضم حالياً 21 دولة، واستقطبت الصين كمستثمر دوليّ هام عبر مؤتمرات الصين إفريقيا.

تدرك بيجين أنّه يجب عليها تجنّب الدول الإفريقية غير القادرة على تطبيق مقاربة الاعتماد المتبادل معها، وغير قابلة للاستفادة من التطور و النمو الكبيرين للصين لذلك نجدها تضع جملة من الأهداف السريّة التي تكفل لها نجاح استراتيجية الاختراق ومنافسة القوى الاقتصادية الكبرى في إفريقيا على غرار الولايات المتحدة الأمريكية⁽⁵⁾.

ركزت الصين على نيل حصة الأسد من الموارد الأولية للدول الإفريقية، عبر نسج روابط اقتصادية تنقل من خلالها بيجين المعرفة والتكنولوجيا للدول المتعاونة معها، واستغلت الصين المؤتمرات الدولية لإطلاق رؤيتها للتعاون مع دول القارة السمراء بالمؤتمر الصيني الإفريقي الأول الذي عقد في (10-12 أكتوبر 2000)، وأعقبه المؤتمر الثاني في (15-16 ديسمبر 2003)، وقم استثنائية في 2006 و 2009، وساهمت لقاءاتها في تنظيم إلغاء الديون الإفريقية لدى الصين وتحويلها إلى استثمارات ناجحة في المقابل، وهي سياسة قائمة على التعاون المتبادل، مما جعل قادة الدول الإفريقية يستخدمون التعاون مع الصين كبديل مؤقت في حال انشغال السياسات الغربية الأمريكية والفرنسية والانجليزية عن الاهتمام بالشؤون الإفريقية، خصوصاً وأنّ القادة الأفارقة يدركون أنّ بيجين لا ترغب في الصدام والمواجهة مع الدول العظمى.

الفرع الثالث: السياسة الخارجية الصينية تجاه منطقتي EGAD و ECUAS

منظمة EGAD هي منظمة شبه إقليمية في أفريقيا مقرها جيبوتي تم تأسيسها سنة 1996 لتحل محل السلطة الحكومية الدولية للانداء و التصحر IGADD، تضم هذه المنظمة ثمان (08) دول وتهدف إلى حماية البيئة و الحفاظ على الامن و السلام وتعزيز التعاون و التكامل الاقتصادي بين أعضائها.

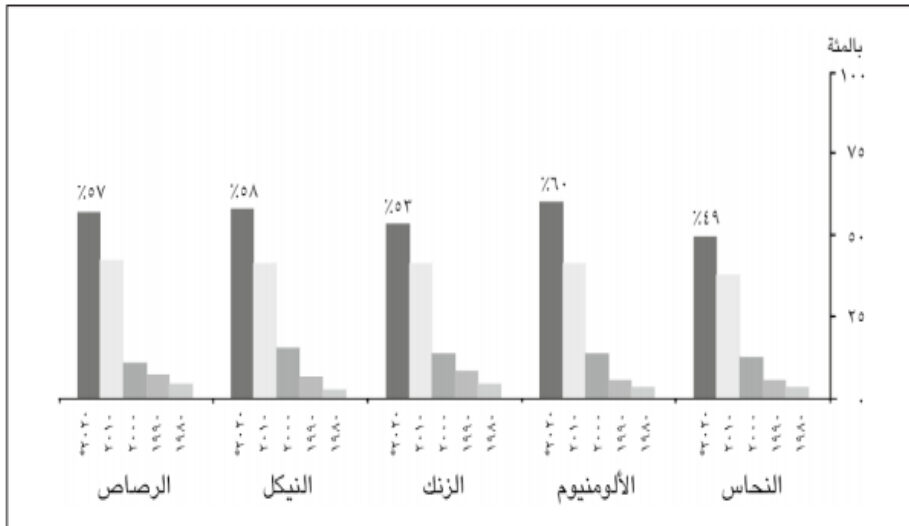
أما منظمة فهي منظمة تعاون إفريقية لدول غرب أفريقيا، تم تأسيسها بالنيجر سنة 1975، تضم خمسة عشر (15) دولة تهدف إلى تحقيق تكامل إقتصادي وتعزيز المبادلات التجارية بين أعضائها.

لا تستطيع الصين التخلي عن هاتين المنطقتين كونها طرفين هامين في استثمارات النفط في القرن الإفريقي ومنطقة غرب إفريقيا، وكون هاتين المنطقتين أسواقا هامة جدا للسلع الصينية، إضافة إلى شراء دول المنطقتين للأسلحة الصينية إلى أن وصل الأمر إلى تمويل فقاء الصراع أنفسهم، كما حدث في الحرب الإثيوبية الاريترية التي انتهت عام 2000 باستقلال إريتريا، فكان كل من البلدين يشتري السلاح الصيني، وأظهرت بيجين أن مقاربتها براغماتية مثل المقاربات الغربية تماما.

كما أن الصين بحاجة دوما لمختلف الموارد الطبيعية وخصوصا النفط من هاتين المنطقتين وعديد المعادن الأساسية الواسعة الاستهلاك.

مخطط يبين معدلات الاستهلاك الصيني للموارد إلى عام 2020

تطور نسبة استهلاك الصين لبعض المعادن الأساسية خلال الفترة ما بين ١٩٨٠ - ٢٠٢٠



المصدر: Bernice Lee [et al.], «Resource Futures: a Report Chatham House», Chatham House, London (December 2012), p. 18.

المصدر: حسن الحسنواي، استراتيجية الوجود الصيني في إفريقيا: الديناميات والانعكاسات، مجلة المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد: 466، ص. 102.

المطلب الثاني: الفرص العسكرية للصين في أفريقيا

دخلت الصين النادي النووي عام 1964، وهي تمتلك قوة نووية بإمكانها أن تكون رادة للولايات المتحدة الأمريكية، لامتلاكها كل أنواع الصواريخ والطائرات التي تدعم ترسانتها النووية، إلا أن الصين تسعى إلى إيجاد فرص عسكرية بالقارة الأفريقية عبر عدة طرق مختلفة، انطلاقاً من تجارة السلاح وصولاً إلى إقامة القواعد والأحلاف العسكرية، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المطلب.

الفرع الأول: تجارة السلاح

تعتبر الصين من الخمسة الأوائل لمصدري الأسلحة حسب التقرير الصادر عن معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام "سييري" الصادر عام 2020، بعد أن كانت ثامن مصدر للأسلحة عام 2008⁽⁶⁾، وتقول الإحصاءات أن الأسلحة الصينية تم تصديرها إلى 18 دولة نامية من بين 25 دولة عبر العالم، غالبتها تعرف نزاعات مسلحة، لكنّ يجين أكدت أنها تحترم الالتزامات الدولية حيال تجارة السلاح، ولا تعمل على توريدها كمشتريات لتسهيل اندلاع الحروب الأهلية في الدول، لأنّ السياسة الخارجية للصين تقوم على مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.

تشكّلت ملامح خطة "الردع الاستراتيجي الصيني المتكامل" عام 2001، بغرض تقوية جيش التحرير الصيني الشعبي⁽⁷⁾، ورفع مستوى جاهزيته وقدراته العسكرية الاحترافية، غير أنّ هذه الاستراتيجية لا تقع في قطيعة مع السياسة الخارجية الصينية، بل تتراكم معها، لأنّ الصين لا تزال تفضّل استراتيجية تخفيف حدّة المواجهة مع الدول العظمى⁽⁸⁾.

يتصف صنع القرار في الصين بمرونة أكبر بعد انفتاح الاقتصاد الصيني، كما أنّه تحوّل من شخصنة وتركيز الحكم إلى تأسيس دوائر مؤسساتية، خاصة في مجال التمويل العسكري.

يعتبر الاهتمام بدول العالم الثالث من أهم تقاليد السياسة الخارجية الصينية، خاصة على الصعيد العسكري، فنظراً للمقدّرات العسكرية الصينية تمكنت يجين من ردع الولايات المتحدة من التدخل في الحالة التايوانية.

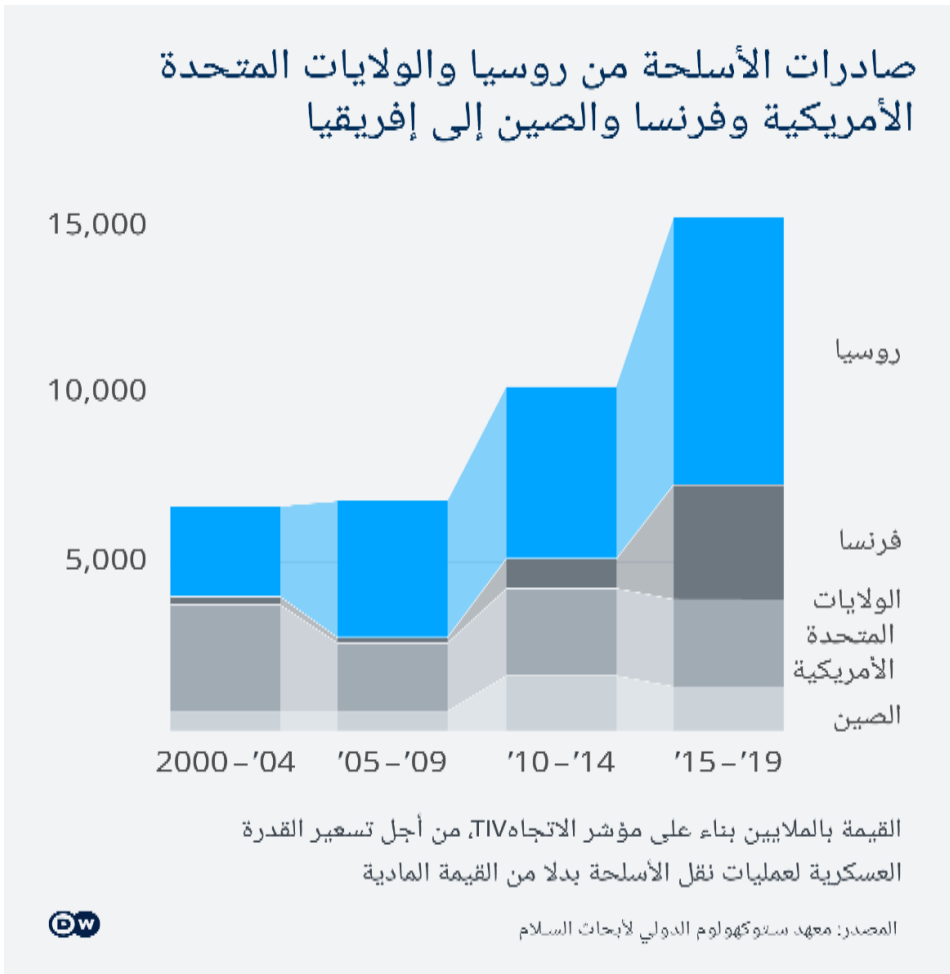
تدرك الصين أنّ دول القارة الإفريقية بحاجة إلى:

- عتاد أمني وعسكري لمساعدتها على ضبط حدودها، وأمنها المجتمعي.
- آليات برية وبحرية وجوية من العتاد واللوجستيك لدعم قدرات الدول الإفريقية على القتال والدفاع المشروع على أقاليمها وسيادتها.

- تزويدها بالتكنولوجيا الرقمية في مجال الدفاع وتكنولوجيا المعلومات، واستخدام الطائرات بدون طيار وغيرها من التكنولوجيات الجديدة للقتال.

أضحت الصين مورد عالمي للأسلحة، ودولة نووية وصلت إلى الفضاء، حققت أعلى نسبة نمو اقتصادي في العالم، وتحقق انتشارا عسكريا مطّردا في مختلف المناطق الجيوسياسية شديدة الأهمية، ومن الطبيعي أن تنزع الولايات المتحدة الأمريكية من هذا التمدد في قلب العالم، واقترب الصين من مصالحها العسكرية، حيث أضحت القوة الصينية تنامي بطريقة سريعة، مستغلة انشغال واشنطن بدوائر الأزمات العالمية البعيدة.

صادرات الأسلحة الروسية، الأمريكية، الفرنسية والصينية إلى دول القارة الإفريقية بين سنتي 2000 و 2019



المصدر: وكالة أنباء روسيا اليوم، الرابط الإلكتروني: <https://p.dw.com/p/3cuea>

الفرع الثاني: إقامة القواعد العسكرية

أعلنت الصين شروعها مطلع العام 2016 في بناء أول قاعدة عسكرية بحرية في أفريقيا في جيبوتي، وتراهن بيجين على توسيع دعم النشاط الاقتصادي للصين من خلال وجودها العسكري في القارة السمراء، من أجل تأمين مبادلاتها التجارية من وإلى القارة السمراء، عبر الخدمات اللوجيستية، خاصة ورشات صيانة السفن التجارية.⁽⁹⁾

تمّ تنصيب هذه القاعدة عبر اتفاقية "معاهدة أمنية ودفاعية" تمّ توقيعها في (فبراير عام 2014)، في قاعدة الشيخ عمر بجيوتي، وتقضي بنود الاتفاقية على حصول حكومة جيبوتي على 20 مليون دولار مقابل عقد إيجار للقاعدة لعقد يدوم 10 سنوات قابلة للتجديد، مع بند ثاني يقضي بمشاركة الصينيين في برامج تأهيل لتدريب القوات العسكرية والأمنية في جيبوتي، والمساعدة على رفع مستوى أدائها وفق مقاربة الاحترافية.

علّمت تجارة السلاح ساسة بيجين كفاءات التفاوض لخلق فرص تواجد عسكري وانتشار أمنيّ مقابل مبالغ التسلّح الضخمة التي تعجز غالبية الدول الإفريقية الفقيرة عن سداد قيمتها، فمثل هذه الفرص لا تدخل في خانة الابتزاز، لكنها استغلال براغماتيّ منطقيّ لأزمات هذه الدول ومحاولة إقناعها للموافقة على التعاون العسكريّ دون الإضرار بسيادتها، في إطار علاقة الحوار والصداقة والتعاون.

يرى المفكر الأمريكي جوزف ناي أنّ مستقبل القوة يقضي التكيف المستمرّ مع التحولات الدولية شديدة السرعة والتعقيد،⁽¹⁰⁾ ونظرا لنجاح الصين في التواجد العسكريّ بجيبوتي، فقد تشجّعت للاستثمار هناك، ومنها نحو دول الجوار والقارة السمراء، وتمكنت من شراء حصة من ميناء موراليه الحيوي بحصة تقدر بـ 185 مليون دولار، وتعمل على رفع كفاءة وتجهيز الميناء لتسهيل مبادلاتها التجارية عبر هذه البوابة الهامة.

يبلغ الاستثمار الصيني 60 مليار دولار، لكنّ مجمل النشاط الاقتصاديّ الصينيّ مع دول القارة الإفريقية يبلغ 300 مليار دولار، وهو ما يقتضي سهرا حثيثا لضمان سلامة هذه الاستثمارات الضخمة، كما أنّ هذه القاعدة سهّلت وصول الصين إلى الخليج العربي منطقة التوريد الأولى بالنفط الخام.

ساهمت الصين في تسهيل التبادلات التجارية بين جيبوتي وإثيوبيا، مما لفت انتباه عديد الدول الكبرى لامتلاك الصين "قوة مرنة" تدعم قوتها الصلبة في قاعدة جيبوتي وتهدّد استثماراتها في دول منطقة القرن الإفريقي.

كما تظهر عدة تقارير توجه الصين لبناء مزيد من القواعد العسكرية بكل من السيشل وجزر موريس، وهذا ما يؤكد التحول في الاستراتيجية الصينية بالقارة الافريقية.

الفرع الثالث: إقامة الأحلاف العسكرية

يصعب على الصين إقامة أحلاف عسكرية جماعية (للأمن الجماعي) في دول القارة الإفريقية، لكنها تستعيز عنها بالاتفاقيات ثنائية الأطراف، التي تسهل لها تأمين نشاطاتها الاقتصادية في القارة الإفريقية، وهو ما يجعل وتيرة انتشارها العسكري بطيئة مقارنة بالتواجد العسكري الفرنسي والأمريكي. فبدأت بمشاركة محتشمة في مناورات عسكرية في بحر الصومال وخليج عدن، للتدريب على مواجهة القرصنة البحرية التي طالما هددت مصالحها التجارية البحرية لعدة سنوات.

لم تصل بيجين إلى ضمان "الأمن الجماعي" بينها وبين شركائها في إفريقيا، إذ تبقى المنافسة على دول القارة بعيدة عن قدرة بيجين على امتلاك الميزة التفضيلية. كما أنّ تواجدها في قاعدة جيبوتي الجديدة يعدّ اختباراً هاماً لقدرتها على تجنّب الصدام مع الولايات المتحدة الأمريكية التي تمتلك قاعدة جوية عسكرية هي الأخرى في نفس الدولة فقيرة الموارد، لكن صاحبة أفضل موقع استراتيجي في القرن الإفريقي شرق إفريقيا.

يقول أنيس الوهبي: "الصين قوة مزدوجة في النظام الدولي. فهي إحدى أهم القوى العالمية البرية اليوم. كما أن بحريتها من أسرع البحريات في العالم نمواً وتوسعاً. إن قوةً بمثل هذه المواصفات، على الأرجح، لن تتورّط في نزاعات عالمية كبيرة" (11).

تتلخّص نظرة الوهبي للصين من ناحية قدرتها على تعطيل أربعة أدوار إقليمية متعاظمة في منطقة شرق آسيا، فجيوبوليتيكيا تتوفر الصين على المحددات الجغرافية التالية، مما دفع السلطات الصينية إلى إحياء "طريق الحرير التاريخي" عبر مشروع "الحزام" (12)، الذي أهلها للعب أدوار متقدمة إقليمياً على روسيا والهند والولايات المتحدة الأمريكية، وباستخدام نفس معايير التنافس ما بعد الحداثة التي فرضتها ظاهرة العولمة:

- تمكّن الطبيعة المزدوجة للقوة الصينية من تحدّي خصومها، سواء في البر أو البحر.
- تقع الصين على الطرف الأقصى لمنطقة الحافة أكثر نقاطها ديناميكية (الشرق الأقصى).
- تقع على المحيط المحوري للسياسات العالمية (الباسيفيكي) وهي أنشط من الهند على هذا الصعيد. فالصين تفوق الهند بإطلاتها على الباسيفيكي، ولكونها جزءاً من ديناميكية القوى في شرق آسيا، فضلاً عن ازدواجية القوة.

- تلتصق الصين بمنطقة القلب في أهم نقاطه (كازاخستان - منغوليا الداخلية)، وهو ما يعرقل الدور الروسي. حيث أنّ الصين تطل على المياه الدافئة، على عكس روسيا التي تكافح لضمان الوصول المستمر والأمن إلى تلك المياه.

لذلك، يتلخص المشهد الجيوبوليتيكي العالمي في تنافس أربع دول كبرى، اثنتان منها مزدوجتا القوة (الصين والهند)، الثالثة بحرية (الولايات المتحدة) والأخيرة برية (روسيا). تستطيع الصين تحقيق انتشار عسكريّ بالاتفاق مع روسيا الشريك الأساسي في منظمة شنغهاي للتعاون⁽¹³⁾، وهما كقوتين نوويتين تستطيعان مواجهة التكتل الغربيّ ضدّ قوى الشرق، غير أنّ بيجين لا تستطيع أن تأمن جانب روسيا، التي تميل إلى ممارسة هيمنة سياسية وعسكرية على حلفائها، فعلى الرغم من أنّ موسكو شريك جدير بالاحترام والتقدير، غير أنّ موازنة العلاقات النائم لقوته بالهدوء حيال علاقته بواشنطن، يجعل الصين أكثر قدرة على احتواء التهديدات المحيطة بها.

المبحث الثاني:

تقييم الدور الصيني في أفريقيا ومستقبله

على الرغم مما تمتلكه بيجين من "محددات قوة" تمكّن الصين من النشاط عبر دور قويّ في دول القارة الإفريقية، إلّا أنّ الدور الصيني في السياسة الخارجية لبيجين لم يصل إلى مستوى الطموح الصيني في تحويل التواجد الاقتصاديّ إلى انتشار عسكريّ شرعيّ لحماية الاستثمارات الصينية في دول القارة الإفريقية، حيث اختلف الباحثون في تقييم هذا الدور وهذا ما سنتطرق إليه بهذا المبحث.

المطلب الأول: تقييم الدور الصيني في أفريقيا

لم تنجح الصين دائماً في خلق مواطني قدم إستراتيجية، وبقيت في خانة المورد البديل للأسلحة، رغم إنشاءها لأول قاعدة عسكرية بأفريقيا بدولة جيبوتي، حيث طال الدور الصيني العديد من الانتقادات داخليا وخارجيا في علاقتها بالدول الإفريقية وهذا ما سنوضحه بهذا المطلب.

الفرع الأول: نقد الدور الصيني

تعاي الصين من سوء إدارة للتنافسية الدولية، بسبب محاولاتها الخجولة لاقتناص فرص الاستثمار في القارة الإفريقية، خاصة بالدول التي تمنح ميزات تفضيلية للدول الاستعمارية السابقة، رغم الاموال الطائلة التي خصصتها الصين على شكل قروض ومشاريع ضمن منتدى

FOCAC لبناء المدارس و المستشفيات بالدول الإفريقية⁽¹⁴⁾ كما أنّها تميل إلى المنافسة في مجالات الربح السريع والكلفة الكبرى للسلع، لتمرير صفقاتها التجارية بأية طريقة ممكنة، على حساب تحديات أخرى قد تسيء إلى سمعتها الدولية، ونظرا للمشكلات والحروب والنزاعات التي تعرفها القارة السمراء، تتحول ييجين إلى مورد للسلاح فتفصح مقارباتها البراغماتية، منهجيتها المزدوجة للمشاركة والتعاون على أساس الندبة من جهة، والنظرة النفعية الذرائعية أيضا.

الفرع الثاني: بطء استخدام الفيتو في القضايا الإفريقية

لم تبادر الصين إلى الانخراط في القضايا الإفريقية بطريقة تجعلها قادرة على فهم الملفات الكبرى للقضايا الخلافية بين الدول الإفريقية وغيرها من الدول، لذلك لم تعد ييجين الدول الإفريقية بالدفاع عنها ومساندتها سياسيا على الصعيد الدولي، ولا تزال الصورة النمطية عن العملاق النائم بأنه لا يستخدم حق النقض فيتو إلا من أجل قضاياها السيادية.

لكن مع تغير نظرة ييجين للقارة الإفريقية، وتوسع استثماراتها ومواقع تواجدتها العسكري، بات على الصين التفكير في الدفاع عن الأنظمة السياسية الإفريقية الحليفة لها، دفاعا عن مصالحها الاقتصادية والعسكرية في القارة السمراء.

الصين دولة عظمى لا يمكنها أن تبادر إلى استخدام واحدة من أهم أوراقها الراجحة حقّ الفيتو (النقض) في مجلس الأمن، في قضايا بسيطة كالتي تشهدها الدول الإفريقية، كعدم الاستقرار السياسي والصراعات العسكرية والاضطرابات الاجتماعية⁽¹⁵⁾، فهما بلغت مستويات الإرهاب والجريمة المنظمة وغيرها، فهي لا يمكن أن تبلغ مستوى التعقيد الذي تنتظر ييجين حدوثه على حدودها الإقليمية، خاصة في حال اندلاع حرب بين الولايات المتحدة الأمريكية وكوريا الشمالية.

الفرع الثالث: تأثير النزاعات في أفريقيا على التواجد الصيني

تعاني منطقة شرق وغرب إفريقيا من أوضاع غير اعتيادية للفوضى الإقليمية ذات العلاقة بالتحولات الداخلية في هذه الدول، وكثيرا ما تسببت النزاعات الدولية في ظاهرة فشل الدولة وانهيار المجتمعات الإفريقية مثلما حدث في ليبيا، وتعاني غالبية الدول المنهارة من تدخل عدد كبير من اللاعبين الدوليين فيها.

تشكل ظاهرة النزاعات الدولية ظاهرة مدهشة، فحين يندلع نزاع مسلح يجبر الصين على مغادرتها، يشكل ذلك الانسحاب خسارة مزدوجة بالنسبة للصين، التي تخسر استثماراتها وانتشارها العسكري في مثل تلك الأزمات في الغالب.

المطلب الثاني: مستقبل الدور الصيني في أفريقيا

تقوم منهجية دراسة مشاهد مستقبل السياسات الدولية على المنهج التنبؤي لدراسة سيناريوهات المستقبل المنظور، التي تعتمد على المعلومات والبيانات (الداتا DATA) لقراءة تحولات المستقبل الذي يمكن التحكم في مجريات أحداثه، وبعيدا عن الآليات التقليدية للاستبصار، واعترافا بعدم استخدام هذه الدراسة للمنهجيات المتقدمة للاستشراف الرقمي المتخصص، يمكن استشراف ثلاثة مستقبلات ممكنة خلال الأفق المنظور ويمكن تقديمها في النقاط العلمية التالية، على النحو الآتي:

الفرع الأول: قوة الدور الصيني

يقوم رهان الصين على تقوية دورها المستقبلي إذا توفرت الشروط التالية:

- في حالة أي انهيار محتمل للقوة الأمريكية ونموذجها للسيطرة العالمية، حيث تتنبأ الأطروحات الفلسفية والتاريخية لبعض المفكرين على انهيار وشيك للنموذج الغربي الأمريكي الذي لا يقوم على القيم، وهو ما استفاق له الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر⁽¹⁶⁾ والباحث الأمريكي كارن سميث⁽¹⁷⁾، حين نبها إلى حتمية قيام النموذج الأمريكي على القيم. وفي هذه الحالة، تراقب بيجين السلوكيات الدولية للقوى الدولية الصاعدة والمنافسة على غرار روسيا، إنجلترا، ألمانيا ... وغيرها، حتى يسهل عليها التوقيع الدولي، حيث أن أي تراجع أمريكي خلال المستقبل المنظور، يقتضي تحركا صينيا عاجلا لملء الفراغ.

- في حالة اندلاع حرب إقليمية بين الكوريتين، تقتضي تدخل اليابان، أو تدخلا أمريكيا حاسما، ستتراجع غالبية القوى العسكرية الإقليمية، وهذا سيعزز القوة الإقليمية للصين، كما استفادت إيران من التدخل الأمريكي في العراق. وهذا يقتضي تحركا صينيا عاجلا للتكيف مع تركة الحرب الإقليمية، وستجد بيجين نفسها مضطرة لتفعيل الحوار الاستراتيجي مع روسيا⁽¹⁸⁾ لمواجهة التدخلات الأمريكية المحتملة.

- في حالة اندلاع حرب روسية أمريكية، ستكون كارثة على كليهما، لكن الصين مجبرة على التحالف مع إحدى القوتين لضمان النصر، وما أتبها عقلانية فهي ستكون الفائز الأكبر بعد انتهاء المواجهة، وسيكون ملؤها للفراغ الدولي انتهازا لفرصة تراجع القوتين العظميتين، لكنها

مضطرة لحساب تحركات الدول الحليفة لهاتين القوتين، خاصة الدول الغربية الأوروبية الحليف العقلاني للولايات المتحدة الأمريكية، والمتوقع أن يسلك سلوكا داعما وبشدة لاستمرار القيم الغربية ضد القيم الشرقية.

الفرع الثاني: تراجع الدور الصيني

يقوم رهان الصين على منع تراجع دورها المستقبلي، غير أن توفر شروط أو تهديدات قد تحاصر الدور الصيني، كقيلة بتراجع القوة الصينية وتآكلها:

- في حالة انفصال أي من الأقاليم الخمس التي تتمتع بالحكم الذاتي في الصين، ستضطرّ بيجين إلى الانكفاء الداخلي ومواجهة هذه الأزمة، وسيكلفها هذا الانشغال خسارة دورها في مختلف مناطق العالم ومنها إفريقيا، وقد تضطرّ إلى إلغاء خطط انتشارها العسكري مما قد يهدّد حماية استثماراتها الضخمة، في ظلّ المنافسة الدولية الشديدة. ويحدث بالفعل أن المعارضة الصينية والأقليات الصينية تحظى جميعها بالدعم الأمريكي والغربي من أجل استغلال ورقة الأقليات لإضعاف الصين، وهو ما يجب أن تحسب حسابه بيجين وبدقة.

- في حالة وقوع حرب بين دول الجوار، مثل حرب روسية أوروبية، أو بين باكستان والهند، أو حرب أمريكية ضدّ كوريا الشمالية أو إيران، ستضطرّ بيجين إلى التحالف مع طرف ضمن هذه الحروب الخطيرة، وقد تخسر رهانها في حسابات القوة الإقليمية، هذه الوضعية كقيلة بالتسبّب في تراجع الدور الصيني، والاحتكاك بالقوى الدولية العظمى، وفي مقدمتها روسيا وأميركا، ولن تنفع سياسة الانكفاء الصيني، ويجب على بيجين التصرف بحذر أكبر واتباع مذهب أكثر مرونة في التعامل مع الاقليم الآسيوي، بالاعتماد على مقومات القوة العسكرية وغيرها من اوجه القوة⁽¹⁹⁾.

- في حالة وقوع حروب دولية متعددة الأوجه في مختلف مناطق القارة الإفريقية، ستضطرّ بيجين إلى تعديل خطط انتشارها الاقتصادي والعسكري، وربما ستخسر أموالها واستثماراتها الاقتصادية، وهي تحسب حاليا كلفة الرهان على أنظمة سياسية غير ديمقراطية في إفريقيا، مما يجعلها مجبرة على حساب احتمالات اندلاع الأزمات والحروب والنزاعات الدولية في دول القارة السمراء، وقد تجد بيجين نفسها مضطرة للتفاوض مع الدول الكبرى المنافسة لها في السوق الإفريقية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وتجنب المواجهة معها بأفريقيا خصوصا⁽²⁰⁾، وقد يتسبّب التفاوض في خسارتها لاستثماراتها وقواعده العسكرية في دول القارة الإفريقية.

الفرع الثالث: ثبات الدور الصيني

يمكن أن تحافظ بيجين على ثبات دورها الدولي وسياستها الخارجية، في ضوء إعمال قاداتها للعقلانية السياسية على الصعيدين الداخلي والدولي، فكلما كانت الصين في أوضاع داخلية متماسكة، ولم تعرّض مصالحها للمساس أو أيّ تهديد إقليمي أو دولي، تفضّل الصين البقاء في الصفوف الثانية، خشية زيادة أعباء القيادة العالمية⁽²¹⁾ أو احتكاكها بالقوى الدولية الكبرى مما قد يعرضها لاصطدام أو مواجهة دولية مبكرة.

يقتضي ثبات الدور الصيني العقلانية في اتخاذ القرار، وهو ما نلمسه بالفعل في البحث عن الرهانات السلطوية للسلوك الصيني في الوقت الراهن، إذ يعكس هذا الدور الصيني الصورة المدركة في العقل الصيني، وهو ما يعني أنّ اندلاع الحرب لا يخدم بيجين إلّا في حالة واحدة، وهي انهيار الولايات المتحدة الأمريكية.

الخاتمة:

توصلت هذه الدراسة إلى العديد من النتائج الهامة، فالسياسة الخارجية الصينية تنسم بالعقلانية الشديدة، وهي تتضمن بعدا بيروقراطيا يعكس قدم جهازها القيادي في السياسة الخارجية، والقيم التي تستند عليها بيجين إقليميا ودوليا وعالميا، للدفاع عن حقّها في ممارسة دور رياديّ مؤثّر على الصعيد العالميّ، بوصفها دولة جديرة بالخشية، دون أن يعني ذلك الصدام بينها وبين الدول العظمى.

تراهن الصين على التواجد العسكريّ في دول القارة الإفريقية لحماية مصالحها الاقتصادية التي تتمثل في الاستثمارات وحماية الموارد الأولية التي تهتم بنقلها لدعم قدراتها التصنيعية، وشيئا فشيئا تقوم الصين بتعزيز مكاتبتها العالمية دون صدام مع المشروعات الأمريكية للهيمنة والسيطرة العالمية، رغم أنّه يحقّ لها أن تنتقل إلى مرحلة مختلفة من التعاون إلى التأثير على صناعة القرار في الدول الإفريقية باستخدام آلية التفاوض وممارسة الضغوط الدبلوماسية، لدعم دورها الدولي من خلال حلفائها الأفارقة، ولا أدلّ على ذلك اعتراف الرئيس الصيني بفضل الجزائر ووزير خارجيتها الأسبق -الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة- بدعم حقّ الصين في استرداد مقعدها الدائم في مجلس الأمن.

تأسست الفرضية الرئيسية في هذه الدراسة على أنّ إفريقيا تقع على رأس أولويات السياسة الخارجية الصينية، كلما رغبت بيجين في تحدّي قدرتها العالمية على الانتشار العسكريّ لحماية مصالحها الاقتصادية، وقد لاحظت ساسة بيجين أنّه كلما رغبوا في دعم مشروعها للهيمنة

العالمية عبر التواجد في دول القارة الإفريقية، تحركت واشنطن في نفس الاتجاه لمقاومة هذا التحرك، وهو ما يعني صحة الفرضية الأولى في هذا الدراسة، كما أنّ الصين تضطرّ لخسارة استثماراتها الاقتصادية والتجارية لأن الدول الإفريقية لا تمتلك قاعدة وأرضية تمكنها من التعامل بنديّة معها، وهو ما يؤكّد صحة الفرضية العلمية الثالثة. وكلما فشلت بيجين في فرض نجاحها الاقتصادي واختبار نفوذها في دول القارة الإفريقية، عدلت عن الانتشار العسكريّ لحماية مصالحها الاقتصادية الفاشلة، وهو ما يؤكّد صحة الفرضية الأخيرة في هذه الدراسة أيضاً.

تدل فكرة الصين لاختراق القارة الإفريقية عبر الاتفاقيات العسكرية على قدرة استغلال قوة المكان، وتعتبر القاعدة العسكرية الصينية في جيبوتي نموذجاً على نجاح الصين في تجسيد رؤيتها كشريك اقتصاديّ وتجاريّ فعّال، وتحقيق تعاون استراتيجيّ بقاء لا يخلو من النظرة البرغماتية الصينية لدرجة غياب مبدأ التعاون في كثير من الأحيان وإن كانت الصين تعلن و تظهر غير ذلك في خطابات سياسيتها، كما أن وجود القاعدة الصينية في جيبوتي في بلد يستقبل القوات الأمريكية أيضاً، يعتبر تجربة نموذجية بالنسبة إلى بيجين، وفرصة ذهبية للتعرف على مختلف الفرص الاقتصادية والتجارية وتوريد الأسلحة لدعم لاقتصاد الصيني عبر السوق الإفريقية الواعدة.

الهوامش:

1 أمنية محسن عمر، أحمد الزيات، "السياسة الخارجية الصينية تجاه إفريقيا (1999 - 2015)"، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، برلين، (19 أوت/أغسطس 2016)، ص9.

2توفيق عبد الصادق، "مراكز السياسة الخارجية للصين في إفريقيا"، مجلة سياسات عربية، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ع.21، (تموز/يوليو 2016)، 2016/05/10، ص 34.

3رافع علي المدني، الدبلوماسية الناعمة في السياسة الصينية تجاه إفريقيا-العلاقات الصينية-السودانية نموذجاً (2000-2010)، دار الجنان للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، الاردن، 2012، ص 189.

4هولي لبنى، "جيوبوليتيك النفط في إفريقيا والتنافس الأمريكي- الصيني"، مجلة العلوم القانونية والسياسية، جامعة حمة لخضر الوادي، ع.02، م. 07، (جانفي 2018)، 2021/04/02، ص ص. 188-199.

5سهره قاسم محمد حسين، "الصعود الصيني وتأثيره على الهيمنة الأمريكية في الشرق الاوسط (2001-2009)"، مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الأولى، مصر، 2013، ص 102.

6Pieter D. Wezeman , Alexandra Kuimova, Siemon T. Wezeman, "Trends In International Arms Transfer, 2020", Stockholm international peace research institute, Sweden, 2020, P2.

7 مايكل إس تشايس، آرثر تشان، نهج الصين المتطور لـ "الردع الاستراتيجي المتكامل"، منشورات مؤسسة راند RAND، كاليفورنيا، 2016، ص19.

8 عماد منصور، السياسة الخارجية الصينية من منظار "الثقافة الإستراتيجية"، مجلة سياسات عربية، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عدد 21 (تموز/يوليو 2016)، ص. 34.

9 Cabestan, Jean-pierre , "China's Military Base in Djibouti: A Microcosm of China's Growing Competition with the United States and New Bipolarity", Journal of Contemporary China, China, 2019, P4.

10 Nye Joseph S., "The Future of Power", New York: Public Affairs, 2011.P25.

11 أنيس الوهيبي، "الصين والجيوبوليتيك العالمي الجديد"، صحيفة العربي الجديد، مركز الروابط والبحوث الإستراتيجية، (27 يونيو 2016)، 20/03/2021، الرابط

الإلكتروني: <http://rawabetcenter.com/archives/28823>

12 جوزف س. ناي، جون د. دوناهيو، الحكم في عالم يتجه نحو العولمة (ترجمة: محمد شريف الطرح)، الرياض: مكتبة العبيكان، 2002، ص33.

13 حسن محمد سليم، الهيئة الأمريكية و مستقبل القوى الكبرى، مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الاولى، القاهرة، 2014، ص 211.

14 David Shambaugh, "china goes global (the partial power)", Oxford university press, New York, 2013, p 105.

15 Judith Van Looy, "Africa and China: A Strategic Partnership?", African studies center leiden, The Netherland, 2006, P17.

16 جيمي كارتر، "قيمتنا المعرضة للخطر"، الرياض: العبيكان، 2007، ص09.

17 كارن إن سميث، "الأخلاق والسياسة الخارجية"، الرياض: مكتبة العبيكان، 2005، ص11.

18 Zbigniew Brzezinski, "strategic vision-America and the crisis of global power", basic book, New York, 2012, P 75.

19 منصور فالح إسماعيل الحيص، "الفرص و التحديات للنمو الصيني كقوة عظمى (1990-2008)"، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلاقات الدولية قسم العلوم السياسية، جامعة مؤتة، 2009، ص131.

20 Bates Gill, chin'hao Huang, J.Stephen Morrison, "Assessing China's Growing Influence in Africa, China Security, World Security Institute, Vol.3, No.3, 2007, P15.

21 حذفاني نجيب، "العلاقات الصينية الأمريكية بين التنافس و التعاون -فترة ما بعد الحرب الباردة"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية و العلاقات الدولية-تخصص الدراسات الاسيوية، جامعة الجزائر 3، جوان 2011، ص 134.